

العوامل الاقتصادية المؤدية لظاهرة أطفال الشوارع وسبل مواجهتها

يعدّ الاقتصاد أهم المرتكزات الأساسية التي يتوقف عليها نجاح الدول في تحقيق الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية لشعوبها، ويعمل الاقتصاد على تحسين الثقافة الاجتماعية للشعوب وتطوير دورها الإنساني لاسيما عندما تكون معتمدة على أسس سليمة ومستقلة. والاقتصاد على وفق ما ذكره (الفريد مارشال) موضوع يدرس الإنسانية من ناحية الأعمال والمهن التي يمارسها الأفراد، ويعني بذلك تخصص الاقتصاد بدراسة ثروة الإنسان وطرائق استثمارها من أجل رفاهيته المادية والبشرية ورفاهية مجتمعه الذي يعيش فيه ويتفاعل معه.

إنّ فالاقتصاد هو الأسلوب الذي تختاره الشعوب للعيش، ذلك لدوره الحاسم في تطورها ورسم آفاق مصيرها، كما يسهم في تركيبية البنية الاجتماعية والسياسية وتغييراتها من حين إلى آخر. ففي ظل الرخاء الاقتصادي للمجتمع تتوسع الخيارات في التمتع بالحياة أمام أفرادها وتتعرز إمكانيات الوصول إلى وسائل العيش الكريم، ومن ثم الحصول على العديد من الحقوق والتي تشمل الحق في البقاء والصحة و التغذية والتعلم والمشاركة والحماية من الأذى والاستغلال والتمييز.

وفي الجانب الآخر فإنّ فشل السياسات الاقتصادية من شأنه إضعاف الحالة الاقتصادية عامة ومن ثم تدهور المستوى المعيشي للأسر والأفراد وانتشار حالة الفقر التي تتخذ العديد من المظاهر والكثير من الإبعاد، ويقوض الفقر البيئات الأسرية والمجتمعية التي توفر الحماية للأطفال ما يعرّض هؤلاء لمخاطر الاستغلال والإساءة والعنف والتمييز.

ويعدّ الفقر أثناء مرحلة الطفولة أحد الأسباب الجذرية للفقر في مرحلة الرشد، حيث يكبر الأطفال الفقراء ليصبحوا آباء وأمّهات فقراء أيضاً يقومون هم كذلك بتنشئة أطفالهم في جو من الفقر . فقد لا يستطيع الزوج أو رب الأسرة مع الفقر توفير الاحتياجات الضرورية لأسرته بسبب كبر حجمها وقلة تعليمه وضعف إيمانه فيعجز عن الاستجابة لمتطلبات الأسرة فلا يكون أمامه سوى خيارين؛ إمّا أن يقع في الحرام للحصول على المال أو يدفع بعض أفراد أسرته لمسالك

السوء للحصول على مزيد من المال فيكون الناتج تفكك الأسرة وتشرّد أطفالها وعملهم في بعض المهن الخطرة.

وهذا ما أكدته بعض حالات التشرّد التي تمّ توثيقها، حيث أكد بعض هؤلاء الأطفال أنّ الآباء هم الذين دفعوا بهم إلى الشارع إمّا للعمل أو السرقة أو التسول أو ما إلى ذلك، . فلا يخفى على أحد أنّ فقر الأسر له تأثير سلبي - في أغلب الأحيان - على حالة الطفل في الأسرة، فقد وجدت دراسة حول أسر الأطفال الذين يعملون في الصناعات الجلدية في القاهرة، على سبيل المثال، أنّ (٩٠%) من الآباء صرحوا أنّهم الحقوا بأنائهم بالعمل لا بالدراسة لأنّ أسرهم بحاجة إلى أجورهم، وبالتالي فإنّ الفقر والأجور المتدنية هي السبب الكامن وراء تشغيل الأطفال، فالآباء يكسبون أجراً قليلاً بحيث يضطر أبناؤهم الصغار إلى العمل. وفي بحث ميداني أجري على عينة من الأطفال بلغ عددها (١٥٠) طفل وطفلة من أطفال الشوارع في مدينة بغداد تبين أنّ نسبة المستوى المعاشي لعموم العينة ضعيف (١٠٠%) وأنّ أغلب أفراد العينة يعيشون في أسر كبيرة الحجم بنسبة (٦٠%)، وأنّ نسبة (٦٠%) من أفراد العينة يعيشون في العشوائيات.

ونتيجة لهذا كله يتشرّد الأطفال في الشوارع ويتخلفون عن الدراسة وتترسب لديهم مشاعر الكراهية نحو الحياة والمجتمع وكل من حولهم مما يؤدي بهم إلى الدخول في دائرة الانحراف والتمرد على القيم والنظم وإدمان المخدرات مع استغلال تجار المخدرات لهؤلاء الأطفال في ترويح السموم، وصولاً إلى أمراض أخرى أخطر وأعمق تأثيراً في بنية المجتمع مثل التطرف والانحراف الفكري والإرهاب.

ولكي يتم كسر حلقة الفقر هذه فإنّ عملية خفض الفقر يجب أن تبدأ بالأطفال والتي تعدّ عنصراً محورياً للالتزام بالحكومات والمجتمعات بضمان عدم حرمان أي طفل مما يتوفر من موارد وإمكانيات يحتاجها لبقائه ونموه السوي . ولما كان الكثير من المسؤوليات في إيجاد هذه البيئة السليمة لنمو الأطفال تقع على الحكومات، فإنّ على هذه الحكومات توفير دعم مالي ترصده في موازنتها من أجل حماية الطفولة، وأنّ تسن التشريعات وتفرض سلامة تطبيقها، والتصدي للاتجاهات والتحيزات والاعتقادات غير الصحيحة، كما عليها الالتزام بصون كرامة الأطفال وإشراك المجتمع في قبول تحمل المسؤولية المطلوبة لحمايتهم.

ويؤكد علماء الاجتماع أنّ البطالة هي السبب الأساس الذي يقف خلف مشكلة الحرمان والإحباط بسبب فقدان فرص العمل واشباع الحاجات ما يؤدي ببعض الأفراد إلى كسر القوانين الموضوعية بوصفه نوع من الاحتجاج السلبي ومن ثم اقتراف الجريمة والسلوك المنحرف سواء كانت بحق النفس بعدّه تعبير عن إيذاء الذات أوفي تعمد إيذاء الآخر. وتتسع دائرة الجريمة وآثارها الكارثية مع تشكل حلقات العاطلين عن العمل بسبب لقاء الطبائع المشتركة، والتمركز

بالمناطق الهامشية أو العشوائية في المدن بوصفها جماعات تعمل على إيقاع الضرر والتدمير في المحيط الاجتماعي.

ويمكن أن نشير إلى ما يترتب على البطالة من آثار سلبية خطيرة تتجسد في انخفاض مستوى المعيشة وانخفاض الأجور إلى الحد الأدنى، وضعف القوة الشرائية لقلة الأجور، وانتشار الفقر. والمفاسد وسوء المستوى الخلفي للأفراد، والأمراض وتفكك أو اصر الأسرة وغيرها من المظاهر التي تكون عوامل مشجعة للأبناء للنزول للشوارع برغبتهم أو برغبة آبائهم بحثاً عن العمل مهما كان نوعه ونتائجه.

وصفة القول، أن ظاهرة أطفال الشوارع ارتبطت بصورة مباشرة بعامل الفقر الذي توسع بسبب عوامل كثيرة داخلية وخارجية لعل أهمها:

- ١- الحروب الداخلية والخارجية.
 - ٢- كبر حجم الأسرة عن الحد الذي يعجز فيه الآباء عن توجيههم وتلبية احتياجاتهم. وهي نتيجة مرتبطة بعدم أخذ الأسر ببرامج التنظيم الأسري.
 - ٣- نمو الزيادة السكانية في كثير من الدول دون أن يرافقها اهتمام بالموارد التي تشبع حاجات هذه الأعداد المتزايدة وتلبي طموحاتها.
 - ٤- التوزيع غير العادل للثروات بين المواطنين سواء كان ذلك على مستوى الدولة الواحدة أم على الصعيد الدولي العام.
 - ٥- السياسات الاجتماعية والاقتصادية الخاطئة وغير العادلة التي تنتهجها الحكومات في بعض البلدان العربية وغير العربية.
- ويمكن في هذا السياق أن نضع بعض المقترحات التي من شأنها التخفيف من آثار ظاهرة أطفال الشوارع وعلى النحو الآتي:
- ١- رفع المستوى المعاشي للأسر.
 - ٢- تقديم خدمات التعليم المجاني أمام المواطنين.
 - ٣- فتح الفرص أمام العاطلين عن العمل وبأجور مناسبة.
 - ٤- مساعدة الطلبة الدارسين بمبالغ نقدية معينة طيلة سنوات الدراسة.
 - ٥- مساعدة الأمهات غير العاملات أو ربات البيوت بمبالغ نقدية ضمن مشاريع الضمان الاجتماعي.
 - ٦- مساعدة المواطنين لإقامة مشاريع صغيرة يمكن أن تسهم برفع المستوى المعاشي لها.
 - ٧- انتهاج سياسة تمليك الأراضي والعقارات للمواطنين ذوي الدخل المحدودة وبأسعار رمزية.
 - ٨- توعية المواطنين بضرورة انتهاج التنظيم الأسري.

- ٩- على الدولة انتهاج سياسة تستطيع من خلالها التكيف مع المتغيرات السريعة الناتجة عن الزيادة الكبيرة في السكان لسد احتياجاتها المادية والمعنوية.
- ١٠- العمل على تحسين الخدمات في المناطق الريفية لمنع نزوح أهاليها، نحو المدن والعواصم للإقامة على أطرافها وتشكيل بؤر أو مباءات للجريمة والسلوك المنحرف.

زيادة في المعلومات ينظر المراجع التالية:

- ١- حسان محمد الحسن، علم الاجتماع الاقتصادي، دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٩.
- ٢- عصمت عدلي، علم الاجتماع الأمني: الأمن والمجتمع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٤.
- ٣- خديجة حسن جاسم المشهداني، عمل الأطفال في الشوارع، دراسة ميدانية في مدينة بغداد، إشراف فتحية الجميلي، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، ٢٠٠٤، ص ١٤. (أطروحة دكتوراه).
- ٤- زينب محمد كاطع الخفاجي، أطفال الشوارع في العراق وعلاقته ببعض المتغيرات، دراسة ميدانية في مدينة بغداد، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، قسم الاقتصاد المنزلي، ٢٠٠٩، بحث منشور على الموقع hu.edu.jo/ecwc/papers/Childhood/Paper%20Zainab.doc.